وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يوم دراسي: مهارات ابتكار الموضوعات البحثية، وتوجيهها في ضوء الاحتياجات المعاصرة.

المنعقد بتاريخ: 03جوان 2021م بكلية أصول الدين قسم الكتاب والسنة

عنوان المداخلة:

تداخل العلوم وأثر ذلك في ابتكار البحوث وتنوعها –علم القراءات أنموذجا–.

د/ نبيل مسالتي. جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة. كلية أصول الدين/قسم الكتاب والسنة.

com.messalti_nabi@yahoo

ID: 0009-0007-1765-0906

تداخل العلوم وأثره في ابتكار البحوث وتنوعها.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

شكر الله للأساتذة الفضلاء والطلبة النبلاء، وأبشركم بقوله صلى الله عليه وسلم: " الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما ولاه، أو علما أو متعلما" فالدنيا إخواني ملعونة أي مذمومة، ولذلك يجب علينا أن نكون علماء أو متعلمين كحالنا اليوم والحمد لله، أو مدعوين إلى مائدة ذكر الله وما والاه، ومثل هذه الأيام الدراسية من ذكر الله، وعملا بقال تعالى (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا)، فإنِّي أشرح عنوان مداخلتي: **تداخل العلوم وأثره في ابتكار البحوث وتنوعها، علم القراءات أنموذجا.**

أولا: شرح عنوان المداخلة.

اخترت علم القراءات كأنموذج لإن اهتمام العلماء بالقرآن الكريم لا يخرج عن ثلاثة جوانب:

الجانب الأول: من حيث **شكله** ونجد ذلك في علم الرسم والضبط وعلم عد الآي وتحزيب القرآن وما إلى ذلك.
الجانب الثاني: من حيث **لفظه** ونجد ذلك في علم التجويد ومعاني القراءات والاحتجاج بها ولها وما إلى ذلك.
الجانب الثالث: من حيث **معناه** ونجد ذلك في علم التفسير وأصوله وأكثر أنواع علوم القرآن وما إلى ذلك.
ولما كانت القراءات القرآنية مشتملة على هذه الجوانب الثلاثة جعلتها محلا للدراسة التطبيقية.

ثانيا: الشكل العام لمداخلتي يرتكز على نقاط ثلاث:

مهاد معرفي: مفاده أن تداخل علوم الشريعة حقيقة لا ينكرها عاقل، فهي حقيقة لا غبار عليها، سواء كانت هذه العلوم من الوسائل مثل علوم الآلة أم المقاصد مثل علم التفسير.

مهاد نظري: ونتج عنه أن كل العلوم الشرعية قربت أو بعدت فهي في نهاية الأمر خادمة للقرآن الكريم.

حيث جمعت: نماذج من تداخل علم القراءات مع عدد من العلوم الشرعية، وسمية ذلك بـ: (مهارة التقاطع) التي من خلالها تبتكر البحوث أصالة أو تنوعا أو تفرعا أو شرحا أو تعقيبا أو استدراكا أو مقارنة أو منهجا ولهذا كثيرا ما تجدون هذه المصطلحات كعناوين للبحوث العلمية والرسائل الجامعية.

وقسمت هذه النماذج إلى ثلاثة نقاط:

أولا: تقاطع علم القراءات مع بعض علوم الحديث رواية ودراية وبيان ما ينتج عن مهارة التقاطع من بحوث.

ثانيا: تقاطع علم القراءات مع بعض أنواع علوم القرآن كعلم عد الآي، وعلم الوقف وعلم الرسم والضبط، والتاريخ والآثار، وبيان ما ينتج عن مهارة التقاطع من بحوث.

ثالثا: تقاطع علم القراءات مع علوم اللغة العربية عموما، وعلى وجه الخصوص، علم النحو، علم الصرف، علم البلاغة، وبيان ما ينتج عن مهارة التقاطع من بحوث.

أ/1: بين علم القراءات وعلم عد الآي:

✓ تتعلق بعض أحكام التلاوة برؤوس الآي، كما في قراءة يعقوب من إثبات هاء السكت، وياءات الزوائد وصلا ووقفا.

فإذا كان هذا مذهب يعقوب فأي العد يعتبر في قراءته؟

سئلت مرة لما علماء العد يذكرون الشبه المعدود والشبه المتروك مع أن علم عد الآي توقيفي، فالجواب كي لا يشتبه على من يقرأ بقراءة يعقوب مثلا؛ بعض الأحكام التي تتعلق بمعرفة رأس الآية.

✓ تتعلق بعض أحكام القراءة برؤوس الآي كالإمالة وجها واحدا في رواية ورش من طريق الأزرق.

فإذا كان هذا مذهب الأزرق فأي العد يعتبر في قراءاته؟

أ/ 2: بين علم القراءات وعلم الوقف والابتداء.

حكم الوقف على رؤوس الآي هل هو سنة مطلقا، أو هل تطبق عليه قواعد التعلق اللفظي والتعلق المعنوي المعروفة عند أهل الصناعة، والتي من خلالها يُقسم الوقف على رؤوس الآي إلى جائز وممتنع.

ويندرج تحت هذا تعلق علم القراءات بمباحث الوقف على مرسوم الخط ومباحث الوقف على أوآخر الكلم.

أ/ 3: بين علم القراءات وعلم تاريخ المصحف:

علم القراءات يتداخل مع تاريخ المصحف من جوانب عدة، فمسألة عدد المصاحف التي أرسلها عثمان إلى الأمصار؛ نجد أن عثمان –رضي الله عنه–أمر زيد **بن ثابت** أن يقرأ بالمدني، وبعث **عبد الله بن السائب** مع المكي، **والمغيرة بن شهاب** مع الشامي، **وأبا عبد الرحمن السلمي** مع الكوفي، **وعامر بن قيس** مع البصري، ولم نسمع لمصحف اليمن، والبحرين خبرًا، ولا علمنا من أُرسل معهما، وتاريخيا لم ينقل عن مصحفي اليمن والبحرين أحد من العلماء الذين يُعتد بهم في علم الرسم والضبط كالداني وأبو داود سليمان بن نجاح والبلنسي غيرهم.

فمن خلال تطبيقنا لمهارة التقاطع بين علم القراءات وعلم تاريخ المصحف، حصل معنا شبه يقين أن عدد المصاحف كانت خمسة لا أقل ولا أكثر وأنه لا يمنع أن يكون المصحف اليمني أو البحريني نُسخ من أحد تلك المصاحف الخمسة.

أ/ 4: بين علم القراءات وعلم الآثار:

لو جئنا إلى علم الآثار باعتباره علما مستقلنا نجد المصاحف المخطوطة الموجودة اليوم ك:

1. مصحف جامع الحسين في القاهرة.
2. مصحف طشقند ويضم نحو ثلث القرآن.
3. مصحف جامع عمرو بن العاص في القاهرة، وهو مصحف كامل.
4. مصحف إستانبول.
5. مصحف المكتبة الوطنية في باريس، وفيه ثلث القرآن تقريبا.
6. صفحات من مصحف جامع صنعاء.

فهذه المصاحف المخطوطة هل لنا أن نأخذ منها علم الرسم والضبط استقلالا، أو هل لنا أن نستأنس بها في ذلك، وأبعد من هذا كله هل لنا أن نوظفها في قضية الترجيح بين الشيخين أبي عمرو الداني وأبي داود سليمان بن نجاح: (وهي من أهم قضيا على الرسم) طبعا أنا هنا لا أجيب ولا يحق لي الإجابة وليس لي علم بالإجابة، وإنما من خلال توظيف مهارة التقاطع بين علم القراءات وعلم الآثار ينتج عن ذلك ميدان خصب للبحث العلمي يمكن أن يوفر لنا إجابات حاسمة وفاصلة في علم الرسم والضبط.

فمن خلال توظيف مهارة التقاطع بين علم القراءات وعلم الآثار وربما علم الكمياء، يمكن معرفة القيمة العلمية لهذه المصاحف المخطوطة، ومن ثم الإجابة على تلك التساؤلات، وينتج عن هذا ميادين أخرى للبحث ك:

- تباين رسم المصاحف العثمانية مع هذه المصاحف المخطوطة.
- أثر هذه المصاحف المخطوطة على علم الرسم والضبط، ولما لا على علم تحقيق المخطوطات.

أ/ 5: بين علم القراءات وعلم اللغة العربية.

أول تقاطع هو أن موافقة اللغة العربية أحد أركان القراءة الصحيحة، ثم يظهر هذا التقاطع واضحا بين علم توجيه القراءات مع جميع علوم اللغة العربية نحوا وصرفا بلاغة ودلالة، وما أكثر من بحث في مثل هذا.

أ/ 6: بين علم القراءات وعلم الحديث:

أولا: بين علم القراءات وعلم الحديث رواية.

طرق تحمل القراءة التي عالجها شيخ القراء ابن الجزري في المنجد، هل هي نفسها التي يذكرها علماء الحديث، بمعنى هل هي نفسها الموجدة في تدريب الراوي مثلا أو في شروح ألفية العراقي أو السيوطي، فالسامع الآن لا ينتظر مني أن أجيبه عن هذه التساؤلات فالمطلوب مني كأستاذ ومن خلال تطبيق مهارة التقاطع أن أنتج لك ميدانا خصبا للبحث، أما النتائج والإجابة فهي من ثمرات بحثك.

بل أنتظر منك إجابة الحكيم كأن تقول لي في نتائج البحث، لذلك كان حفص وعاصم ضعيفين في الحديث ثقتين في القراءة؛ لأن القراءة يشترط فيها الإجازة ولا تكون إلا بالقراءة على الشيخ.

بل لك أن توظف هذا في الرد على المستشرقين الذين يتخذون من الطعن في القراء سلما للطعن في القراءات، ومن ثم الطعن في القرآن الكريم.

وهناك مسألة أخرى؛ عند دراسة الأسانيد نجد بعض المصطلحات عند القراء غير موجودة عند المحدثين مثل قراء العامة، القراءة المدرجة، والقراءة المستفيضية أين نضعها في أنواع علوم الحديث.

في حين نجد البلقيني عند ذكره للأسانيد يقول المتواتر والآحاد والشاذ، ثم يقول بعد ذلك قراءات النبي صلى الله عليه وسلم، فهل يفهم من ذلك أن أسانيد قراءات النبي صلى الله عليه وسلم نوع مستقل، ثم هل لهذ التقسيم ثمرة أو أثر في قبول أو رد القراءة، كل هذه الإشكالات تولد لك ميدانا خصبا للبحث نتج عن مهارة تقاطع العلوم.

ثانيا: بين علم القراءات وعلم الحديث دراية.

ومن مهارات التقاطع ما يكون بين علم القراءات وعلم الحديث من حيث الدراية، أعني شروح متون الحديث، فمثلا من خلال شرح حديث الأحرف السبعة، وهو حديث متواتر وقد ورد في الصحيحين والسنن وغيرها من دواويين السنة، وفيه أن عمر بن الخطاب سمع هشام بن حكيم يقرأ سورة القرقان على غير ما أقرأه إيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتحاكما إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وأقر قراءتهما وقال: إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه.

فمن العلماء من انتصر لمذهبه في تعين معنى الأحرف السبعة بهذا الحديث، وأعجب من ذلك أنه رد أكثر الأقوال وهي حوالي أربعين قولا اعتمادا منه على هذا الحديث وأحسن ما بقي في ذهني أنه قال أن عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم من قريش، فجميع الأقوال التي تقول أن المقصود بالأحرف السبعة هي لغات العرب أو قبائل أو لهجات العرب قول باطل، ثم إنهما لم يختلفا في معنى الآيات بل في ألفاظ الآية فكل الأقوال التي تقول أن المقصود بالأحرف السبعة هي الحلال والحرام أو النهي والخبر أو القصص فباطلة، وبهذا الطريقة رجح ما رءاه صوابا في تحديد معنى الأحرف السبعة؟

ولا يخفى عليكم أن هذا الحديث من مشكل الحديث، فبتطبيق مهارة التقاطع بين العلوم (علم القراءات/ علم الحديث دراية).

وقفنا على ما يمكن أن يكون صوابا في تحديد معنى الأحرف السبعة، أو على الأقل نتج لنا ميدان يمكن أن ينطلق منه في البحث.

كما أن في شروح هذا الحديث رد على المستشرقين الزاعمين أن القراءات إنما نشأت بسب ما يحتمله الرسم آن ذاك كونه خاليا من نقط الإعراب ونقط الإعجام، ففي هذا الحديث دليل على أن القراءات كانت موجدة قبل كتابة المصحف والنبي صلى الله عليه وسلم حي يرزق؟

ومن مهارات التقاطع في إنتاج البحوث: كيف أوظف تخطئة عمر بن الخطاب لهشام بن حكيم في محاكمة بعض الطاعنين في القراءات من النحاة كالفراء أو المفسرين كالطبري وابن عطية.

ومن نتائج مهارة التقاطع بين علم القراءات وعلم الحديث دراية:

- يطلعنا طالب بلبل بـ: متن الأربعين في القراءات، ويصول ويجول في شرحها.
- ويطلعنا طالب آخر ببحث بعنوان: مباحث علم القراءات في فتح الباري أو مباحث علم القراءات في شرح مسلم للنووي أو في شروح كتب السنة.
- وآخر ببحث: الأحاديث الواردة في وصف قراءة النبي صلى الله عليه وسلم دراسة نقدية أي حديثية.

أ/ 7: بين علم القراءات وعلم الفقه

مهارة التقاطع هذه تدور في فلك: أثر القراءات في استنباط الأحكام الفقهية وقد بحثت كثيرا مثل:

- اللحن في الصلاة؟
- حكم القراءة بالشاذة في الصلاة؟
- حكم الجمع بين القراءات في الصلاة؟

نعم صحيح أنا لما أتكلم عن مهارة التقاطع لم أعدكم أن تكون أرض التقاطع صالحة لزراعة رسالة ماستر أو ماجيستير أو دكتوراه، فقد تكون حديقة صغيرة صالحة لشجرة أو وردة واحدة وهي المقال، وما أدراك ما المقال، والقائمين على هذا اليوم الدراسي أظنهم لم يشترطوا ذلك.

وأبعد من ذلك فإذا اعتبارنا النوازل الفقهية علما مستقلا عن علم الفقه خاصة ما تعلق بالفتوى، ففي الكتاب العجاب المعيار المعرب والجامع المغرب في فتاوى أهل أفريقية والأندلس والمغرب للونشريسي نجد من الفتاوي ما تعلق بالقراءات مثل:

- فتوى تواتر القراءات وما وقع فيها من سؤال وجواب بين علماء غرناطة (ابن لب)، وعلماء تونس (ابن عرفة).
- فتوى الفرق بين القراءات والقرآن، وتكفير من أنكر القراءات.
- فبمهارة التقاطع بمكن أن تجمع هذه الفتاوي وتدرس في بحث علمي أكاديمي.

تنبيهات مهمة عند تطبيق مهارة التقاطع في إنتاج ميادين خصبة للبحوث.

- أن من سبق بالتصنيف والتأليف، فإنه سيكون له أثر فيمن سيصنف في علم آخر يشترك مع علم هذا المصنف. لكن يجب على الباحث أن تكون له شخصية عليمة قوية تأهله لإبعاد كل ما لا يحتاجه.
- عند تطبيق مهارة التقاطع حذار من المصطلحات العلمية المشتركة في المسميات المختلفة في الحقائق، فهي مسألة من الأهمية بمكان؟ فمثلا الشاذ عند القراء غير الشاذ عند علماء الحديث غير الشاذ عند علماء اللغة. بل الشاذ في الدراسات الأكاديمية يخالف ذلك كله.
- الحقول العلمية المشتركة بين العلوم، أو المسائل التي يتجاذبها أكثر من فن تتعلق ببعضها سلبا وإيجابا، وهذا التعلق هو من أدق وأنفس المواضيع المقترحة للبحث العلمي.
- القضايا العلمية المشتركة لا يقال إنها أصل في هذا العلم دخيلة في الآخر، ولهذا عيب من زعم أن مباحث علم الاجتهاد الموجودة في آخر كتب أصول الفقه دخيلة على أصول الفقه.
- هناك أسرار في ترتيب أنواع علوم القرآن في أمهات الكتب كالإتقان والبرهان، ويفهم من هذا الترتيب المنطقي في أغلبه أن هناك تداخل أو تقاطع بين تلك العلوم، بالإضافة إلى محاكات أنواع علوم الحديث وقصد صرح بهذا الزركشي، والبلقيني والسيوطي.

وفي الأخير أهم ما يكن أن يوصى به: أن تُجعل هذه المهارات البحثية ممن مفردات مقياس مادة منهجية البحث.